الفصل الثالث

العمائر الإسلامية الفاطمية فى صقلية

اولاً: المساجد :

أشارت المصادر الجغرافية التى سجلت واقع جزيرة صقلية خلال الحكم الإسلامى إلى اشتمال مدنها على عدد ضخم من المساجد؛ خاصة فى مدينة بالرم والخالصة، وفى ذلك يذكر ابن حوقل: "وبصقلية من المساجد فى مدينة بالرم والمدينة المعروفة بالخالصة والحارات المحيطة بها من وراء سوريهما عامرة أكثرها قائمة على عروشها يحيط بها وأبوابها نيف وثلاثمائة مسجد ... ولم أر كهذه العدة من المساجد بمكان ولا بلد من البلدان الكبار(١)".

وقد كانت هذه المساجد صغيرة المساحة، يؤكد ذلك قول ابن حوقل: "لقد كنت واقفاً ذات يوم فى بالرم بجوار دار أبى محمد عبد الواحد بن محمد المعروف بالقفصى الفقيه الوثائقى فرأيت من مسجده فى مقدار رمية سهم نحو عشرة مساجد يدركها بصرى ومنها شىء تجاه شىء وبينهما عرض الطريق فقط(٢)".

ولعل كثرة إنشاء المساجد فى صقلية راجع إلى تباهى الناس بإنشائها بين عائلاتهم ومواليهم(٣)؛ وذلك لتفقه الكثير من أهالى صقلية وفى ذلك يقول ابن حوقل: "وسألت عن ذلك فأخبرت أن القوم لشدة انتفاخ رؤوسهم كان يجب كل واحد منهم أن يكون له مسجد مقصور عليه لا يشركه فيه غير أهله وحاشيته(٤)".

والمرجح أن كل هذه المساجد قد شُيدت فى العصر الفاطمى خاصة وأن ولاة الأغالبة بصقلية قد شيدوا الكثير من العمائر الحربية كالقلاع والأربطة، والمسجد الجامع الكبير ببالرمو وجاءت إلى جانب العديد من الدور والقصور، وكانت فترة حكمهم فترة حروب لإخضاع بقية مدن صقلية؛ ونستشف ذلك من رواية ذكرها ابن حوقل: "... ومن جملة هذه العشرة مساجد التى ذكرتها مسجد يصلى فيه أبو محمد ابن القفصى، وبينه وبين دار ولد له يتفقه

---

(1) ابن حوقل: صورة الأرض، ص١٢٠.

(2) ابن حوقل: صورة الأرض، ص١٢٠.

(3) عزيز أحمد: تاريخ صقلية، ص٤٧.

(4) ابن حوقل: صورة الأرض، ص١٢٠.

دون الأربعين خطوة وقد ابتنى ابنه مسجداً إلى جانب داره وهو أحد حدودها ... ويحضر أوقات الصلاة وهو جالس فى دهليز داره المجاورة الملاصقة لمسجده فلا يصلى فيه[1]".

وكان – إلى جانب التباهى بتشييد المساجد – لازدهار العلوم والآداب فى الجزيرة خلال حكم الأغالبة والكلبيين، ورعاية الحكام لهذه العلوم بل وقيامهم أنفسهم بمهام الكتابة والتأليف والفقه[2]؛ ما ساعد على تنامى حركة التشييد والبناء لهذه المساجد لنشر العلوم والآداب والفقه الإسلامى.

وكان أكثر هذه المساجد (محاضر لتعليم القرآن الكريم) والتى استمرت تؤدى مهامها حتى رآها ابن جبير عندما زار بالرم[3] فى النصف الثانى من القرن السادس الهجرى/ الثانى عشر الميلادى؛ ولم يرد عن هذه المساجد الصغيرة أو محاضر تعليم القرآن أية أوصاف معمارية، ولم أجد لها مثيلاً فى بلاد المغرب أو القاهرة فى الفترة المعاصرة أو السابقة، بل وجدت بكثرة فى العمارة المملوكية فى الطابق الثالث لعمارة الأسبلة.

وإلى جانب هذه المحاضر التعليمية أشار ابن حوقل إلى نوع آخر من المساجد كبيرة المساحة نسبياً ومنها (مسجد القصابين)[4]؛ الذى أعطانا عنه وصفاً لمساحته من خلال ذكر أعداد المصلين به حيث ذكر أنه غص بأهله وبلغ سبعة آلاف رجل ونيف لأنه لا يقوم فيه أكثر من ستة وثلاثين صفاً للصلاة وكل صف منها لا يزيد عن مائتى رجل[5]؛ ويمكن إعطاء مساحة تقريبية له فكل فرد يشغل مساحة لأداء الصلاة قدرها ١,٢٥م، وعرض المنكبين ٥٠ سم تقريباً، وبذلك تشغل الصفوف المذكورة ٣٦ × ١,٢٥= ٤٥م + ١,٢٥ الإمام فيصبح طول ظلة القبلة ٤٦,٢٥م.

أما عرض الظلة فتقدر بعدد كل صف من المصلين وهم ٢٠٠× ½ م = ١٠٠م. وبذلك تصبح مساحة الظلة = ١٠٠×٤٦,٢٥ = ٤٦٢٥م تقريباً ومثل هذه المساحات قد وجدنا لها

---

(1) ابن حوقل: صورة الأرض، ص١٢٠.

(2) عزيز أحمد، تاريخ صقلية، ص٤٩.

(3) ابن جبير: الرحلة، ص٢٣٠.

(4) عُرف بهذا الاسم لكونه قد شيد بالقرب من موقع حوانيتهم التى هى دون المائتى حانوت آنذاك.
انظر: ابن حوقل: صورة الأرض، ص١٢٠.

(5) ابن حوقل: صورة الأرض، ص١٢٠.

مثيلاً فى مساحات المساجد الفاطمية بالقاهرة فلقد كان الجامع الأزهر عند إتمام بنائه فى سنة ٣٦١هـ/ ٩٧٢م يحتل مساحة مستطيلة مقاساتها الخارجية ٨٨م طولاً و ٧٠م عرضاً؛ وكان بيت الصلاة فيه يمتد ٨٥م بموازاة جدار القبلة و ٢٥م من هذا الجدار إلى الصحن[١]، وبالمقارنة يتبين لنا أن المساحة لمسجد القصابين هى مساحة إجمالية بما فى ذلك الصحن؛ يتضح فيها صغر مسجد القصابين عن الجامع الأزهر وذلك لكثرة المساجد التى ضمتها صقلية وبالرم والخالصة خاصة.

ودون هذه المعلومات المستقاة من نص ابن حوقل لا نعلم هل كان للمساجد صحون أم أنها مساحات مغلقة، ولكن بالمقارنة بما هو معروف عن مساجد هذه الفترة فى كل من مصر وتونس يمكن الاستدلال ومعرفة مخططاتها، خاصة وأن بلاد المغرب هى التى أثرت فى عمائر الفاطميين فى مصر؛ ولا شك أنهم قد نقلوا ذات المؤثرات عند فتحهم للجزيرة وهجرتهم إليها فى العصر الفاطمى.

كذلك فقد أشار ابن جبير إلى نمط آخر من المساجد التى كانت تُعلق فوق المنشآت المدنية ومنها مسجد قصر سعد[٢]؛ الذى بنى فى الفترة الإسلامية أى قبل٤٨٤هـ/ ١٠٩١م، وبعد زيارة ابن حوقل للمدينة٣٦٢هـ/ ٩٧٢م[٣] وكان يقع على ساحل البحر مشيد البناء أعلاه مسجد من أحسن مساجد الدنيا، مستطيل ذو حنايا مستطيلة؛ مفروش بحصر نظيفة، وقد علق نحو الأربعين قنديلاً من الصفر والزجاج (المشكاوات والثريات)، وأمامه شارع واسع مستدير بأعلى القصر[٤].

ويشير الوصف الوارد عن المسجد أنه شُيد أعلى بناء القصر، على جزء من سطحه فترك أمامه فضاء أطلق عليه مصطلح "شارع مستدير"؛ وقد شيد بناء المسجد بأسلوب معمارى نال استحسان ابن جبير، فهو من الداخل مساحة مستطيلة يزخرف حوائطها الخارجية حنايا مستطيلة وبذلك يكون هذا المسجد قد اشتمل على (ميزة) هامة هى زخرفة الحوائط الخارجية

---

(1) أحمد فكرى: مساجد القاهرة ومدارسها، جـ١ (العصر الفاطمى)، دار المعارف، ١٩٦٥م، ص٤٨.

(2) قصر من عهد ملكة المسلمين للجزيرة (العصر الفاطمى)، انظر: ابن جبير، الرحلة، ص٢٢٨.

(3) لم يرد ذكر لهذا القصر والمسجد أعلاه بكتاب ابن حوقل (صورة الأرض) مما يشير إلى أنه شيد بعد زيارة ابن حوقل للمدينة٣٦٢هـ/٩٧٢م.

(4) ابن جبير، الرحلة، ص٢٢٨- ٢٢٩.

بدخلات تجارية[1]. إلى جانب ذلك فإنه شيد أعلى القصر وهو بذلك يُعد من المساجد المعلقة التى ظهرت فى صقلية قبل مصر بأكثر من مائة عام حيث نجد النموذج الباقى فى القاهرة يمثله مسجد الصالح طلائع بن رزيق٥٥٥هـ/ ١١٦٠م، ومن قبله فى تونس مسجد رباط المنستير، ومسجد رباط سوسة (٣هـ/ ٩م)[2].

وإلى جانب هذه الميزة كان هناك ميزات أخرى لمساجد هذه الفترة، فلقد كانت لها مآذن حيث ساق لنا ابن الأثير هذا الخبر الذى يعود لسنة٣٤٢هـ والذى فيه قال: "... وعاد الحسن إلى ريو[3] وبنى مسجداً كبيراً فى وسط المدينة وبنى فى أركانه مئذنة[4]، ولعل هذه المئذنة قد تأثرت بالمآذن التى شيدها الفاطميون بتونس ومن قبلهم الأغالبة، والتى أخذت الشكل المربع[5].

ومما يدلل على كثرة إنشاء المساجد بالجزيرة فى العصر الفاطمى ما ساقه النويرى حيث قال: "فى سنة٣٥٦هـ/ ٩٦٦م كتب الخليفة المعز لدين الله الفاطمى إلى الأمير محمد بن الحسين بن على بن أبى الحسين واليه على الجزيرة يعرفه بصلحه مع الدولة البيزنطية ويأمره ببناء أسوار مدينة بالرمو وتحصينها، ويعلمه أن البناء اليوم خير من غد وأن يبنى فى كل إقليم من أقاليم الجزيرة مدينة حصينة وجامعاً ومنبراً، وأن يأذن أهل كل إقليم بسكنى مدينتهم[6]" الأمر الذى أدى إلى كثرة مساجد الجزيرة فى العصر الفاطمى.

وهذا النص يشير إلى وجود (ميزة) أخرى تختص بمساجد صقلية فى هذا العصر وهى اشتمالها على (منابر) باعتبارها مساجد جامعة؛ وهذه المنابر لا نعرف المادة المصنوعة منها هل هى من الخشب أم من الحجر أم الرخام؛ لكن الشائع فى فنون العصر الفاطمى فى مصر استخدام الأخشاب لتنفيذ الكثير من التحف الفنية مثل المحاريب، والمنابر، والأبواب،

---

(1) نراها تزين الجامع الأقمر فى القاهرة٥١٩هـ/١١٢٥م ثم جامع الصالح طلائع٥٥٥هـ/١١٦٠م ثم يعم انتشارها العمائر الإسلامية فى العصور التالية.

(2) أحمد فكرى: مساجد القاهرة، ص١١٢.

(3) مدينة بجنوب إيطاليا، والحسن المذكور هو الحسن بن على بن أبى الحسين الكلبى٣٣٦- ٣٤١هـ/٩٥٠-٩٥٢م.

(4) ابن الأثير: الكامل، جـ٨، ص٣٥٧.

(5) سليمان مصطفى زبيس: بين الآثار الإسلامية، ص٢١.

(6) عبد المنعم رسلان: الحضارة الإسلامية، ص١٩٨.

والحشوات الكتابية والزخرفية التى كانت تزدان بها المنشآت المدنية[١] والدينية؛ وبالتالى فإن صناعتها من الخشب أمر مطروح خاصة وأن الجزيرة كانت تشتهر بإنتاج أجود أنواع الأخشاب التى كانت تستخدم فى التصنيع والفائض يُصدر إلى مصر[٢] وغيرها من البلاد.

وقد كانت المساجد السالف ذكرها تعتمد فى إنشائها على الأعمدة التى تقسم مساحتها إلى أروقة ضمن ظلات، أو مساحة مغلقة مقسمة إلى أروقة، فضلاً عن اشتمالها على عنصر المحراب، وتزدان بالأشرطة الكتابية المدونة بالخط الكوفى والذى نرى أمثلة له داخل كنيسة Martorana وكنيسة Magione وفى المدخل الشرقى للكاتدرائية، ونماذج أخرى معروضة بمتحف قصر Abbatellis ببالرمو، كما يوجد عمود بمتحف Pepoli بمدينة Trapani تتضح فيه السمات الفنية الإسلامية، فهو لهذا ربما يخص أحد المساجد التى شيدها المسلمون بالمدينة[٣].

ووجود مثل هذه الكتابات وتلك الأعمدة داخل المساجد بصقلية يتماثل مع المساجد التى شيدت فى تونس ومصر خلال العصر الفاطمى، وهى غالباً كتابات دينية كالتى نراها فى الجامع الأزهر، وجامع الحاكم بأمر الله، وكذلك مشهد الجيوشى، والجامع الأقمر[٤]، ومن قبلهم المسجد الكبير بالمهدية[٥].

أما العمائر الدينية التى كانت بصقلية فى العصر الفاطمى فقد أشارت المصادر إلى أوصاف بعضها كالقصور والحمامات.

ثانياً: العمائر المدنية :

١- القصور :

أشار ابن جبير إلى قصرين يعودان إلى فترة الحكم الإسلامى للجزيرة أحدهما منسوب إلى شيخ يدعى سعد (قصر سعد) والذى كان يقع بالقرب من مدينة بالرم، والثانى منسوب إلى

---

(1) Glidden (H.W); Fatimid Carved-Wood Inscriptions in the Collections of the University of Michigan, Arts Islamica, Vol. VI. Pl.1939, pp.94-95.

(2) Editoriale (S); Eredita dell' Islam Arte Islamica in Italia, p.185.

(3) Editoriale (S); Eredita dell' Islam, p.184.

(4) انظر: أحمد فكرى: مساجد القاهرة، لوحات١٠، ١٤، ١٧، ٢٩، ٣٧، ٤٣.

(5) Bloom (J.M); the Origins of Fatimid Art, Muqarnas (An Annual on Islamic Art Architecture), Vol.13,1985,pp.22- 25, (fig.4).

شخص يدعى جعفر (قصر جعفر)[1]. وقد حققت التاريخ التقريبى لبناء قصر سعد عند ذكر المسجد، فهو يعود للفترة الفاطمية، يتأكد ذلك من ذكر ابن جبير لقصر آخر مماثل لهذا القصر فى كافة نواحيه المعمارية هو قصر جعفر، وجعفر هذا أحد أفراد الأسرة الكلبية الحاكمة للجزيرة، غير أن اسم جعفر هذا أطلق على شخصين هما:

١- جعفر بن محمد بن أبى القاسم والذى حكم فى الفترة من٣٧٣هـ/ ٩٨٣م وحتى سنة ٣٧٥هـ/ ٩٨٥م.

٢- جعفر بن يوسف الملقب بتاج الدولة والذى حكم فى عام٣٨٨هـ/ ٩٩٨م، وقد غادر هذا الحاكم صقلية هو وأبيه يوسف سنة٤١٠هـ/ ١٠١٩م[2].

والمرجح أن القصر منسوب للأمير جعفر بن يوسف لاستمرارة فى الحكم فترة طويلة مكنته من الإنشاء والتعمير، يؤكد هذا أمارى الذى ذكر أنه منسوب لهذا الحاكم[3].

ولتطابق القصران فى عمارتهما، فإن فترة البناء تكون واحدة، وعلى ذلك فإن القصرين يعودان للفترة الفاطمية (الأسرة الكلبية) نهاية القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادى.

الوصف المعمارى لقصر سعد :

أورد ابن جبير وصفاً مختصراً لقصر سعد فى هذه العبارة: "هو على ساحل البحر مشيد البناء عتيق قديم الوضع ... ولا يزال بفضل الله مسكناً للعباد منهم وحوله قبور كثيرة للمسلمين وهو موصوف بالفضل والبركة مقصود من كل مكان، وله باب عتيق من الحديد وداخله مساكن وعلالى مشرفة وبيوت منتظمة وهو كامل مرافق السكنى فى أعلاه مسجد من أحسن مساجد الدنيا[4]".

والنص الوارد يشير إلى أن القصر قد شُيد على الساحل ولهذا أيضاً عرف باسم قلعة[5] وهذا الموقع قد جعل المعمارى المنفذ للبناء يحرص على تأمين فتحات القصر وخاصة مداخله فجعل له باباً من الحديد يتسم بالمتانة والحصانة، والمرجح أنه كان باباً منزلقاً كالمستعمل فى

---

(1) ابن جبير: الرحلة، ص٢٢٨.

(2) زامباور: معجم الأنساب، ص١٠٦- ١٠٩.

(3) عزيز أحمد: تاريخ صقلية، ص١١٢.

(4) ابن جبير: الرحلة، ص٢٢٨.

(5) Peterson (A); Dictionary of Islamic Architecture, New York,1996,p.258.
; Crespi (G); L'Europe Musulmane, Zodraque,1982,p.286.

العمارة الحربية والمدن الحصينة، حيث وجدناه فى بوابات مدينة بغداد، وفى قلاع الشام. وقد وصف ابن جبير هذا البناء بأنه قد شيد على طراز قديم لم يكن معهوداً فى عصره (زار الجزيرة سنة٥٥٨هـ/ ١١٦٢م) أى خلال عهد الملك غليالم الثانى النورماندى٥٦١- ٥٨٥هـ/ ١١٦٥- ١١٨٩م[١].

بالإضافة إلى قدم عهد بنائه فلقد مضى على تشييده أكثر من مائة وخمسين سنة وظل حتى رآه ابن جبير ووصفه؛ ثم درست معالمه، ولم يرد عنه ما يفيد بقائه بعد الغزو النورماندى للجزيرة ويبدو أنه قد هدم أو تحول إلى بناية معمارية أخرى ثم هدم.

ولكن لحسن الحظ تبقى من قصر جعفر أجزاء يمكن من خلالها الوقوف على سمات قصور هذه الفترة؛ والذى أطلق عليه اسم قلعة جعفر[٢].

فالقصر المذكور يتطابق مع قصر سعد وكانت داخله سقاية تفور بماء عذب[٣] وهذه السقاية أطلقت كاسم للقصر وعُرف باسم (قصر الفوارة)[٤] لوجود الفسقية (النافورة) التى كانت تتوسط صحن القصر والذى كان على ما يبدو كشف سماوى.

وبقايا القصر التى وصلتنا تشير إلى عظمة البناء وأبهته، فلقد شُيد القصر بالحجر الكدان الذى كان متوفراً بالجزيرة حتى أنه شيدت به جميع المساجد بالجزيرة؛ وتشرف واجهة القصر (لوحة ١) على ساحة فضاء، هذه الواجهة فُتح بها فتحات المداخل بعقود مدببة ونصف دائرية وفتحات نوافذ معقودة بعقود مدببة، والواجهة تزدان بدخلات جدارية يتوجها عقدان نصف دائريان؛ وقد وضعت النوافذ داخل هذه الدخلات ثم تنتهى الواجهة فى أقصى اليسار بفتحة باب معقودة بعقد مقرنص يأخذ هيئة مدببة يؤدى إلى الصحن المكشوف الذى يتوسط القصر.

والقصر من الداخل عبارة عن مجموعة من الحجرات التى تتقدمها من ثلاث جهات بائكات معقودة بعقود نصف دائرية ومدببة، وكان يتوسط الصحن المكشوف الفسقية المشار

---

(1) زامباور: معجم الأنساب، ص١٠٦- ١٠٩.

(2) Bellfiore (G); Dall' Islam,p.15.

(3) ابن جبير: الرحلة، ص١٢٩.

(4) Kughnel (E); Islamic Art and Architecture, London,1966,p.67.
Hillenbrand (R); Islamic Architecture, Edinburg University Press,1994,pp.441- 442.

إليها (انظر: شكل ٥). وهذا المستوى الأرضى للقصر ولا شك أنه كان يوجد طبقات أخرى يدلل على ذلك وجود نوافذ بالواجهة الخارجية فى المستوى الثانى[١].

والملاحظ أن هذا القصر قد استمد تخطيطه من القصر الزيرى بمدينة أشير Ashir[٢] بالجزائر حيث يتوسطه كذلك صحن مكشوف محاط ببنايات معمارية ذات حجرات، وقد شيده مهندس من تونس سنة٣٢٤هـ/ ٩٣٥م[٣]، وكذلك وجدت مثل الدخلات الجدارية الموجودة بواجهة القصر الموجود بصقلية فى عمائر أخرى بالجزائر سابقة لبنائه هى قلعة بنى حماد[٤].

وبذلك يكون القصر قد امتاز باستعمال الصحون المكشوفة، وأحاطته عناصر القصر السكنية والخدمية، التى يتقدمها من ثلاث جهات بائكات بعقود نصف دائرية ومدببة.

كذلك زخرفة واجهة القصر بالدخلات الجدارية ذات المستويين المعقودة بعقود نصف دائرية وضعت داخلها النوافذ وهى ظاهرة وجدت فى تونس والجزائر ومنها انتقلت إلى صقلية ثم نراها فى بعض مساجد القاهرة بمحراب الجامع الأزهر القديم، وفى واجهة جامع الحاكم والمسجد الأقمر بالقاهرة (عقود البائكات)[٥].

٢- **الحمامات** :

أشارت المصادر إلى وجود مثل هذه المنشآت فى العديد من مدن الجزيرة مثل مازر، وبالرم، والخالصة، وشفلو Cafalu[٦] غير أن هذه المصادر لم تعط وصفاً لها.

---

(1) Bellafiore (G); Dall' Islam Alla Maniera, Palermo,1975,p.68.

(2) هى مدينة زيرية يعود إنشاؤها للقرن ٤هـ/١٠م، بمنطقة التترى بالجزائر كشفت الحفريات التى أجريت بها عن هذا القصر الذى شيده مؤسس الأسرة، انظر: المساجد فى الجزائر، سلسلة الفن والثقافة، وزارة الأخبار، مدريد، ١٩٧٠م، ص٧.

(3) Bloom (J.M); the Origins of Fatimid Art, p.22.

(4) Mazot (S); L'Architecture d'Influence Nord-Africaine a Palermo, L'Egypte Fatimid Son Art et son Histoire du Colloque Originise a Paris, p.677.

(5) أحمد فكرى: المرجع السابق، لوحات١٤، ٣٠، ٤٢.

Mahfoudh (F); La Grande Mosquee de Mahdiya et son Influence sur L'Architecture Medievale Ifriqiyenne,p.135

(6) هى مدينة بجزيرة صقلية واسعة المرافق كثيرة الخصب كان يسكنها المسلمون وكانت تضم قلعة أعلى جبل محدق بها وفرت للمدينة حصانتها، فضلاً عن حصانة القلعة ذاتها ومنعتها، انظر: ابن جبير، الرحلة، ص٢٢٧– ٢٢٨، وامبرتو رينزيناتو: الروض المعطار، ص١٥٦.

وتشير البقايا المعمارية لمثل هذه المنشآت فى مدينة شفلوCafolu إلى بعض الخصائص التى تميزت بها فى القرن الحادى عشر الميلادى/ الخامس الهجرى[١].

ومن ذلك تشييده فوق مساحة صغيرة نسبياً، ما تبقى منها الآن قاعة الاستحمام وتضم مغطسين مفصولان عن بعضهما ببائكة من ثلاثة عقود محمولين على عمودين، بالإضافة إلى وجود مستوقد.

وتشير إحدى الدراسات التى تناولت هذا الحمام إلى بنائه قد تم فى العصر الفاطمى فى الفترة الكلبية، يتأكد ذلك من النص الكتابى المدون بالخط الكوفى البسيط والذى يؤرخ البناء بالقرن ٥هـ/ ١١م[٢]. فضلاً عن وجود زخارف متعرجة (دالية) وزخارف من الأرابيسك على شكل أوراق نباتية متشابكة.

والوصف السابق للجزء المتبقى من الحمام؛ يشير إلى إحدى القاعات الثلاث التى كانت تشتمل عليها الحمام، وهى القاعة الباردة، ثم الدافئة وأخيراً القاعة الساخنة أو قاعة الاستحمام. وهو نفس التكوين للحمام الرومانية.

وقد تبقى لنا فى مصر حماماً من العصر الفاطمى كشفت عنه حفائر متحف الفن الإسلامى بالقاهرة بمنطقة كوم الجارح إلى الشمال الشرقى من ضريح أبو السعود الجارحى وهى تقع على حافة تل كوم الجارح وهى على الصخر مباشرة للاستفادة من الانحدار الطبيعى للتل فى الإمداد بالماء والصرف؛ هذه الحمام قد جاء تخطيطها وفقاً لمخططات الحمامات الرومانية ذات القاعات الثلاث، غير أن حمام أبو السعود كان يشتمل على مغطس واحد فقط[٣]، فى حين أن حمام شفلو اشتمل على مغطسين، كما ضم الحمام الفاطمى بأبو السعود القاعة الباردة والقاعة الدافئة، وضاعت معالم القاعتين فى حمام (شفلو) الأمر الذى يشير إلى أنها اشتملت على ذات التكوين.

والبائكة ثلاثية العقود الموضوعة فى حمام شفلو قد تم إضافتها فى العهد النورماندى[٤] ولم تكن من عصر الإنشاء، وذلك لفصل المغطسين عن بعضهما وبذلك تكون هذه الحمام قد

---

(1) Petersen (A); Dictionary,p.258.

(2) Editoriale (S); Eredita dell' Islam Arte Islamica in Italia, p.184.

(3) أحمد عبد الرازق أحمد: العمارة الإسلامية فى العصرين العباسى والفاطمى، القاهرة١٩٩٩م، ص٢٠٤.

(4) Editoriale (S); Eredita dell' Islam, p.184.

تميزت باشتمالها على: ١- قاعة ساخنة ذات مغطسين. ٢- زخرفة الحمام بنقوش كتابية بالخط الكوفى البسيط. ٣- اشتمال الحمام على زخارف عربية مورقة.

وهذه البقايا تشير إلى ما تمتعت به هذه المنشآت من مكانة هامة فى صقلية والحرص على زخرفتها والاهتمام بعمارتها منشآت لها صفة اجتماعية.

كذلك، فقد ضمت مدن صقلية إلى جانب هذه المنشآت الدينية والمدنية منشآت أخرى لها الصفة الحربية، مثل الرباطات والقلاع.

وقد أشارت المصادر إلى كثرة إنشاء هذه العمائر بصقلية فذكر الحموى فى معجمه أن بصقلية ثمان عشرة مدينة إحداها ببالرم وأن فيها ثلاثمائة ونيفاً وعشرين قلعة[١].

ويقول أمارى نقلاً عن بعض المصادر أن فى صقلية ثمانى عشرة مدينة، وفى رواية أخرى ثلاث وعشرون مدينة وثلاث عشرة قلعة وعدداً لا حصر له من تجمعات البيوت الريفية تعود لنهاية القرن العاشر الميلادى، أو النصف الأول من القرن الحادى عشر الميلادى/ الخامس الهجرى[٢] ودرست معالمها، ولكن تبقى لنا بعض أسمائها مثل قلعة البلوط، وقلعة الصراط وقلعة آق ثور[٣]. وقلعة ثومة فى الجزء الشرقى من صقلية وكانت مطلة على البحر ومن أجل القلاع، يحيط بها سور، يتوسطها صحن (ملعب) غريب الصنعة يدل على قدرة بانيه وبها حصن[٤] وقلعة تعرف بـ (الحَمَّه) وكانت قلعة حصينة شامخة بجزيرة صقلية تشرف على البحر[٥]. إلى جانب مدينة الخالصة التى عرفت بالقلعة الفاطمية[٦].

والملاحظ أن ذكر هذه القلاع لم يصحبه أية أوصاف معمارية لها اللهم إلا ما تيسر كأن يقال (يُحيط بها سور) أو (يتوسطها ملعب "صحن") دون الإشارة إلى عناصر عمارتها ومفرداتها المعمارية والفنية. وإذا نظرنا إلى عمارة الخالصة والتى سبق وأن تناولناها لوجدنا اشتمالها على أسوار وبوابات عديدة من المرجح تشابهها مع المهدية بتونس خاصة وأن إنشاء

---

(1) ياقوت الحموى: معجم البلدان، المجلد الخامس، ص٣٧٣.

(2) عبد المنعم رسلان: الحضارة الإسلامية، ص١٩٩.

(3) المقدسى: أحسن التقاسيم، ص٢٣١- ٢٣٢.

(4) أمبرتو رينزيناتو: الروض المعطار، ص١٤٩، ابن جبير: الرحلة، ص٢٢٨.

(5) أمبرتو رينزيناتو: الروض المعطار، ص١٥٠.

(6) Bellafiore (G); Dall' Islam, pp.14- 15.

المدينتين كان فى فترات متقاربة خلال الربع الأول من القرن الرابع الهجرى(٣٠٨هـ للمهدية، ٣٢٩هـ للخالصة)[١].

وكذلك الاستدلال ببوابة مسجد المهدية الكبير؛ والبارز عن سمت الجدار والمزدانة بالدخلات المعقودة بعقود حدوية على يمين ويسار المدخل وكذلك على جانبيه فى المستوى الأول والأعلى[٢]؛ وذلك لمعرفة هيئة البوابات فى القلعة الفاطمية بصقلية (مدينة الخالصة).

وبذلك نخلص إلى أن القلاع قد تعددت وانتشر بناؤها، وأطلق اللفظ على بعض المدن لحصانتها ومنعتها مثلما وجدنا فى مدينة الخالصة، كما أطلقت على بعض القصور مثل قصر سعد، وقصر جعفر، وذلك للأسباب ذاتها، الأمر الذى يُحدث خلطاً بين القلعة كمنشأة حربية وبين القصر كمكان إقامة وإدارة، ويفسر كثرة إنشاء القلاع وإطلاق اسمها على المنشآت الأخرى كالمدن والقصور إلى حالة الحرب التى كان لها الدوام خلال العصر الأغلبى والفاطمى، الأمر الذى جعل أهل الجزيرة يعيشون عيشة حربية حتى داخل قصورهم ومنازلهم.

** ** ** **

(1) عن المهدية انظر: Bloom (J.M); the Origins of Fatimid Art, p.25 – 26

(2) Scerrato (U); Islam, Paris,1977,p.52.

obeikandl.com